

ذكر مدينة جنى ونبذة من أخبارها

وهى مدينة عظيمة ^(١) ميمونة مباركة سعة وبركة ورحمة ، جعل الله ذلك فى أرضها خلقاً وجبله ، وطبيعة أهلها التراحم والتعاطف والمواساة ، ولكن المنافسة على الدنيا كانت من أخلاقهم جداً بجد إذا زادت لأحدهم جاه بينهم أجمعوا على بغضه من غير أن يظهره له ، ولا يتبين إلا إذا وقع من صروف الزمان والعياذ بالله . فساعتئذ يُبدى كل واحد ما عنده من القول البغيض وفعله ، وهى سوق عظيم من أسواق المسلمين وفيها يلتقي أرباب الملح من معدن تغاز ، وأرباب الذهب من معدن بيط ، وكلا المعدنين المباركين ما كانت مثلها فى الدنيا كلها ، فوجد الناس بركتها فى التجارة إليها كثيراً ، وجمعوا فيها من الأموال ما لا يُحصيه إلا الله سبحانه .

ومن أجل هذه المدينة المباركة تأتى الرفاق من جميع الآفاق إلى تنبكت شرقها وغربها يمينها وشمالها ، وهى لتنبكت فى وراء البحرين بين المغرب واليمين فى جزيرة البحر متى فاض ومتى رجع تباعد عنها الماء والوقت الذى تحيط فيها من أغشت ^(٢) والذى تباعد منها فى فبراير .

(بناء مدينة جنى)

أصل بنائها موضع يُقال له زير ، ثم ارتحلوا منها إلى المكان الذى هى له اليوم ، والموضع الأول بقرىها من جهة اليمين وهى محيطة بالسور ، ولها إحدى عشر باباً ، ثم سدوا الثلاثة ، فبقى على ثمانية أبواب ، وإذا كنت بعيداً عنها من خارج لا تحسبها إلا غابة من كثرة الأشجار فيها وإذا دخلت فيها كلها ما فيها شجرة واحدة . ابتدأت فى الكفر فى أواسط القرن الثانى من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

(١) كانت تُعرف مدينة جنى بلقب لؤلؤة النيجر ، وهى تقع على ضفاف نهر النيجر ، وكانت تنافس

مدينة تنبكت فى التجارة ، والعلوم . وتقع فى منطقة منخفضة مما يُعرضها لخطر فيضان النهر .

(٢) أغشت : شهر أغسطس .

(دخول الإسلام مدينة جنى)

ثم أسلموا عند تمام القرن السادس ، والسلطان كنبر هو الذى أسلم ، وأسلم أهلها بإسلامه ، ولما عزم على الدخول فى الإسلام أمر بحشر جميع العلماء الذين كانوا فى أرض المدينة ، فحصل منهم أربعة آلاف ، ومائتا عالم ، فأسلم على أيديهم وأمرهم بأن يدعوا الله تعالى بثلاث دعوات لمدينته تلك .

وهى : إن كل من هرب إليها من وطنه ضيقاً وعسراً أن يبذلها الله له سعة ويُسرّاً حتى ينسى وطنه ذلك ، وأن يعمرها بغير أهلها أكثر من أهلها ، وأن يسلب الصبر من الواردين إليها للتجارة حتى فى ذات أيديهم ، لكى يملأوها فيبيعونها لأهلها بنقص الثمن فيربحون بها ، فقرأوا الفاتحة على هذه الدعوات الثلاث فكانت مقبولة ، وهى كائنة الآن بالمشاهدة والمعاينة .

ولما أسلم ، خرب دار السلطنة وحوّها مسجداً لله تعالى ، وهو الجامع وأنشأ الأخرى لسكناهم ، وهى فى مجاورة الجامع من جهة المشرق . وأرضها منعمة عامرة بالأسواق فى أيام الأسبوع كلها . وقيل : إن فى ذلك الأرض سبعة آلاف قرية ، وسبعة وسبعين قرية متقاربة بعضها إلى بعض .

وكفالك فى التقارب أن السلطان إذا احتاج إلى حضور من كان بقرب البحر دبّ فى قريته خرج الرسول إلى باب السور فنادى الذى يريد حضوره ، فيمشى الناس النداء له من قرية إلى قرية ، فببلغه فى الساعة ويحضر ، وكفى بهذه عمارة ، وحد أرضها عرضاً من كيكي قرية فى قرب بحر دب من جهة اليمين إلى يوبلد فى مجاورة أرض ورن كى طولاً من تينى بلد فى حد أرض سلطان كابر إلى وراء جبال تنبلا قبيلة من قبائل المجوسين كثيراً جداً .

وللسلطان اثنا عشر أمراء الأجناد فى جهة المغرب فى أرض سنا لا يرصدون إلا غزو ملّى كى ، ويقاتلون جنده متى جاؤوا بلا استئذان السلطان منهم يوس وسناسر وماتغ وكرمو وغيرهم وسن فرن^(١) هو رئيسهم ، وكذلك له اثنا عشر أمراء الأجناد أيضاً فى جهة المشرق وراء البحر من ناحية تنلى .

(١) فرن : لقب يُطلق على حاكم المدينة الصغيرة .

ولما توفى السلطان كبر رحمة الله تعالى الذى فى السلطنة فهو الذى جعل الأبراج على الجامع ، والذى خلف هذا هو الذى بنى السور الذى يدور بالجامع ، وأما سلطان آدم ، فهو أفضل سلاطينهم .

(نهاية مدينة جنى)

ومن حين كانت المدينة ما غلب أحد ، أهلها من الملوك إلا سن على ، وهو الذى طوعهم وملكهم بعد ما حاصرهم فى تلك المدينة سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام على ما قال أهلها ، ومحلته فى زبر يقاتلونهم كل يوم حتى يدور بهم البحر فيرتحل بجيشه إلى موضع يُقال له تيكه شن ، سُميت بذلك لأجل مُكثه فيها فيمكثون هنالك ، ويحراثون إلى أن ييس الماء فيرجعون إلى زبر للمقاتلة ، وهم كذلك إلى العدد المذكور من الأعوام ، فحدثني به السلطان عبد الله بن أبي بكر حتى وقعت المجاعة ونقصت قوتهم . ومع ذلك يُكابرون بحيث لم يعلم سن على فى أحوالهم شيئاً ، فعمل وعزم على الرجوع إلى سغى .

فبعث له واحد من كبراء جيش سلطان جنى ، قيل : هو جدانس مان سرى محمد ، فأخبره بأسرارهم ومنعه عن الرجوع حتى يرى ما يؤول إليه أمرهم ، فصبروا وزاد فى الحرص ، ثم شاور السلطان قياده وكبراء جيشه فى التسليم لسن على فوافقوه على ذلك .

فبعث الرسول إليه بذلك فأنعم وقبل ، ثم خرج إليه مع كبراء جيشه ، فلما قرب إليه نزل ومشى إليه برجله فلقية بالترحيب والإكرام ، فلما رآه شاباً حديث السن قبضه وأجلسه إلى جانبه فوق بساطه ، فقام المقاتلة مع الولد فى هذا الزمن كله فأخبره خدامه أن والده مات فى أثناء الفتنة ، فخلفه فى السلطنة ، هذا هو السبب فى مجالسة سلطان سغى مع سلطان جنى على بساط واحد إلى الآن .

فخطب منه أمه وتزوجته قال لى السلطان عبد الله : هذا الزواج هو الذى زاد السبعة الأيام على العدد المذكور ، فبعث سن على حصان سرجه لركوب زوجته إليه فى المحلة ، فلما وصلتته ردَّ الحصان لسلطان جنى عطية مع جميع آلائه ، وهُنَّ عند أهل جنى إلى الآن .

فارتحل راجعاً إلى سغى مع زوجته ، وحَدَّثني بعضُ الإخوان أنه سمع وليَّ الله تعالى الفقيه محمد عريان الراس رحمه الله تعالى ، ونفعنا ببركاته يقول : حاصر سن على مدينة جنى أربع سنين ، فما نال من أهلها نيلاً ، وما ذلك إلا أن الخلفاء الأربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضى الله عنهم أجمعين يحرسون تلك المدينة ، كل واحد على ركن من أركانها الأربعة ، إلا ليلة واحدة ظلم واحدٌ من كبراء الجيش مسكيناً ظلماً فاحشاً ، فسلموا في المدينة ، وفي غدها فتحها سنّ على وملكها وفعل بها ما شاء .

وقال الشيخ المذكور : إن أرباب القلوب الذين ينظرون بنور الله كائنون في هذا الإقليم يومئذ ، إن ذلك الظلم الذي ارتكبه ذلك الجيشى هو أن واحداً ضعيفاً مسكيناً غصب منه زوجته ، واصطفاها لنفسه وغلب عليها بالفحشاء والعياذ بالله . ولذلك عاقب الله الجميع وسلب منهم مُلكهم ورأيت في خط بعض المعتبرين من ليله أن سن على أقام بجنى عاماً واحداً وشهراً واحداً ، ولم يبين أنه من هذه المرة أو من مرة أخرى .

